لحظة الميلاد الكاذب

لحظة الميلاد الكاذب

وقفت هنالك
أمدا طويل
عمرا قارب عمر نوح
بفم تحجر فيه أنين الكلام
وقلب تَكَتَّمَ فيه وجعُ السقام
***
المرضُ ينهش أجسادا هزيلة
تعانى رويدا رويدا
تفر بخطى بطيئة
والموت يخطو خطاه الجريئة
كذئب تملص من قفص حديد
***
خرجت فى ثيابها البيضاء
ورائحة الدواء
حكيمة مذعورة
لا تدري أي كلام تقول
وتفتح صدرها للسهام
وقبل لسانى الكليل

وسؤالى العليل

بادرتنى

لست أدرى

لكن حلمك

طفلك

أضحى هباء

وقالت

لا تبك

وناشد رب الوجود

باعث الحياة

لعل الله يحن عليك

ويرسل ملكا

يحمل طفلًا وليدًا

لترى ميلادًا جديدًا

ألقتْ علىَّ بيانَ الرثاء

تيقن بأن البقاء لرب السماء

***

قلت: أكان حملا كذوبًا

قالت: بلى ... رأيت عجبا ورب الخلود

قلت: أين الطبيب؟!

قالت: مات قبل الميلاد

قلت: أين الجنين؟!

قالت: تبخر مثل الصباح

تفتت كلوح الزجاج

تناثر كرمل الصحارى

أمام رياح الشتاء

قتل الطبيب ومات الجنين

نُهشوا سواء

والأم ؟

صُرِعَتْ من طول النحيب

وعناء المخاض

أفاقت لتلقى هباء

رقدوا جميعا رجاء القيامة

وقصاص السماء

قلت: عبثا تقولين

جنونًا ورب الوجود

خالق كل العباد

من كان عبدا ذليلا

ومن عاش فى جوقة السادات

تخاريف

من أين جاءت

قالت: وربى صدقا

ما كان إلا حقا وصدقا

ووهمًا أكيدًا

***

أدركت بأنى

أمام مشهد عجيب

عبث سُطِّرَ بأيدي الولاة

روته عنهم كتب التاريخ

عام الرمادة

وسنين البلاء

أرض الشقاء

تبدد حلم الميلاد

تبدد فرغا بغير رجاء

قلت: هذه رواية ...عبث .... جنون

لست أفهم شيئا

أين ابنى .... وأين زوجي

وأين الطبيب ..... وأين الدواء

هل أنا في الصحو ..... أم في غيب طويل

أم في جنون تعتق بدم الحياة

تخاريف من لظى جرج عميق

ودارت برأسى السنون

وحط على قلبى سيف المنون

فرحت أسأل

أين الحشود

وأين الجنود

وأين الرايات التي تحلق فوق البيوت

وأين الأماني

وأين الآمال

أكُلُّهَا كاذبات

حتى قميص الشهيد

ودم الحسين

تبخر كما فى كربلاء

ودوى صوت النفير

فروا إلى هذى الخنادق

جحور القنافد

هيا

فروا كما الفئران

فما عاد إلا جنود الخليفة

وظهور عارية أدمتها السياط

***

هنالك ربت على كتفى

عجوز غريب

حكيم انشقت الأرض عنه

أوحت الى روحه ملائكة السماء

كان هناك

خلف الكواليس المظلمات

يشاهد عبث الحكايات

تفاصيل الرواية

ولحظات ما قبل الممات

ويدرك منذ آلاف السنين أن الميلاد

وهم كبير غير آت

عاصر

طفو الغريق فوق المياه

ولعق الذئاب بطن اللقيط

تنكر أهله وقالوا سفاح
وكانت أمه ضحية جوع البطون
وكان أبوه أسيرا لشبق العيون
وكان العام عام الطعون
صدأ الغلال
فَأَرَّخَ هذا العجوز الحكيم
لغرق القرى في وهم الضلال
وشاهد مدن الخوف تحلم بقبض الخيال
وبكى الثورة حين طعنت بخوف الرجال
ونعى قميص الشهيد
حين شروه بثمن بخس
ببرميل نفط وأجولة من ريال
ورأى الحشود يهوى عليها الخنوع
كما تهوى صخور الجبال
فأدرك أن الميلاد عين المحال
حدق في وجهى طويلا
وتمتم بهمس الأسى وقال
تماسك قليلا
وهيا لتطلق منادى الرثاء

وتنصب للحزن خيمة

يتلقى فيها الوطن

أكف العزاء

٢٠١٧/١١/٢٩